تكرد — لقد تعلمت ذلك منذ طفوليتي

الملكة — اذاً اصاب دركوش بقوله انك واحد منا . هذا كل ما بقي من انطاكية العظيمة من ابراجها الشاهقة وحراجها المقدسة وجمالها الباهر فانهُ لما ابطل الشعب تقديم الذبائح للآلهة اغتاظت الآلهة منهم وتركت الارض وبقيت بقية منهم على ولاء آلهتها فلجأت الى هذه الجبال وتماثيلها المقدسة معها وهي هنا الى الآن . هذه هي الاشياء التي تعزينا وتسلينا كما قلت لكما قبلاً . وقد فقدنا كل شيء سواها الغنى والمجد والعلوم والفنون زالت كلها من بلادنا ولا تكاد الارض تنبت ما يقوم بمعيشتنا . نلبس لبس الاكراد ولا نكاد نشبع الطعام مثلهم . ولكن اذا تركنا هذه الجبال وغربنا في السهول مثلهم لفقدنا هذه الصور والتماثيل وخسرنا كل ما يرفع نفوسنا الى مصدر الخير والسعادة ويحيي فيها روح الامل بانا سنعود يوماً ما الى مجدنا السابق ويقيننا انهُ متى تمَّ انحطاط اسيا ومُلكت كأس مصائبها واستوفت ما تستحقهُ من القصاص والنقمة يعود الناس الى هذه الآلهة التي جعلت الارض اسعدتها . ولا بدَّ من ان ترحم العباد ثانية وتعود الى الارض التي امست بدونها خراباً . ثم التفتت الى تكرد وقالت لهُ بصوت رخيم هلمَّ معي ودخلت امامهُ الى غرفة فيها تمثالان صغيران قامتهما كقامة الانسان ووقفت امام واحد منهما وهو مصنوع من العاج والذهب وقالت لهُ أتعرف من هذا . فتفرَّس فيهِ وقال هذا اله الشعر والنور ابلُّوس فيبوس . فقالت هذا تمثال الهنا اله انطاكية اله الحراج المقدسة من يستطيع ان ينظر اليهِ ويرتاب في الوهيته

فقال نعم هذا تمثال ايلو الذي كانت تُذبح لهُ الذبائح من الثيران وتسكب السكائب من الخمر والعسل وتقرَّب القرابين من المرّ واللبان . فقالت نعم وانت عارف بذلك كلهِ . ثم قال ومن هذه . فقالت تمثال الهة السوريين تمثال الزهرة المجيدة المعروفة في بلادنا باسم استرتي (عشتروث) وباسمها سموني تبركاً (ستأتي البقية)

نظرٌ

في عناية الأعاجم باللسان العربي

لحضرة الاستاذ سعيد الشرتوني صاحب قاموس اقرب الموارد

هذا بحثٌ لا أتذكر أني رأيت احداً قد نحا نحوهُ او فتح بابهُ في الصحف السيارة والمجلات الجوَّالة على ما لهُ من خطارة الشان وما وراءهُ للقارىء من الفائدة واللذَّة وما فيهِ

من زحزحة الستار عن حقيقة تاريخيَّة لغويَّة تخفى على معظم الناشئة فوجَّهت النظر صوبهُ فرأيت فاذا الأعاجم الأُلى خدموا هذا اللسان الشريف خدمة تضيق عنها وُسعَى عبارات الشاكرين ويُقصِّر عن وفاء حقّها أبلغ كلام المقرّظين فريقان اقدمهما خدمةً وأعلاهما صنعًا وأشرفهما يدًا العجم المسلمون الذين ربوا في اللسان العربيّ من مثل سيبويه وابي عليّ الفارسيّ وابي اسحق الزجّاج من اهل النحو والازهريّ والجوهريّ من اهل اللغة الذين عنُوا بالتدوين والتأليف لما طرأ على اللغة الفساد كما سترى

واعلم ان الذي دفعهم الى بذل هذا الجهد وحملهم على هذا الصنع الحافظ لسلامة اللسان العربي يدّ الدهر انما هو الحرص على كتاب الديانة الاسلامية ان ينغلق على المفهوم. ومن هنا يعلم ان ليس في اللسان العربيّ من علم الاَّ وللقرآن فضل في استنباطهِ واجتلابهِ

والفريق الآخر الافرنج فهؤلاء وان كانوا بعداء عن العرب وطنًا ومنفصلين عنهم لغةً وليس الاسلام دينهم فقد قلَّدوا جيد هذه اللغة بقلائد العوارف الغالية

على ان خدمتهم ليست من جنس خدمة اولئك والاختلاف بينهما بالغ حدًّا لا تصحُّ عندهُ مقاضلةٌ ولا موازنة فهذه الخدمة وان جلت لا تتعدَّى أن تكون عملاً احتفاظيًّا كل فائدتهِ حفظ اجلّ ما في العربية من التصانيف وافضل ما فيها من التآليف التي أشهرت في تسويدها النواظر وأنضيت في انشائها جياد الخواطر وذلك بنشرها مطبوعةً مستوفيةً من التدقيق في التطبيق على الاصل جهد ما عندهم من الامكان فينزَّل صنع الافرنج من صنع العجم في في هذا الباب منزلة القشر من اللباب فلولا القشر ما حُفظ اللباب ولولا الافرنج لفُقد كثير من نفائس المصنَّفات ولأصبح اللسان العربيّ من بعد تلك الثروة العلمية مُعدمًا أولاستَمرَّت مخبوءة في بعض الخزائن عرضةً لأن يلحسها العثُّ . فأتاح الله لها هؤلاء المتطالبين للاطلاع على تواريخ الأمم وأخلاقهم وعاداتهم وعلومهم فوقوها عوادي الزمان ودواهي الحدثان

وأما اشتغال الافرنج بالعربية فقد ابتدأ في أوائل القرن السادس عشر للميلاد . وأوَّل كتاب عربيّ طُبع في الديار الأوربية لا يتقدَّم تاريخ طبعهِ سنة ١٥١٤. واعلم أن للأحبار الرومانيين في ادخال العربية الى الديار الافرنجية أو في تكثير سواد المقبلين عليها من الافرنج يدًا لا تنكر وذلك أن البابا غريغوريوس الثالث عشر أنشأ مدرسةً للموارنة في مدينة رومة سنة ١٥٨٤ للميلاد وقد خرج من تلك المدرسة خلقٌ كثير من اهل العلم وأرباب القلم فألفوا وترجموا وعلموا في اوربا وفي هؤلاء جبرائيل الصهيوني الإهدنيّ الذي اقرأ العربية والسريانية في مدرسة باريز الملكية وطبع ثمة كتاب قواعد العربية سنة ١٦١٦ وفي رواية

فكانهم كانوا على الفطرة الاولى . وكانوا يجهلون قواعد الزراعة والتسميد فيجرثون الارض الواحدة و يزرعونها سنة بعد سنة الى ان تمل ولا تعود تأتي بغلة فينتقلون الى غيرها و يزرعونها وهلم جرًّا

ولم يهتم احد من سكان اميركا بعلم الزراعة والقواعد الزراعية الاَّ في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن وكان السابق الى هذا الاهتمام وشنطون محرر اميركا . قال في رسالة بعث بها الى مجلس الأمة في ٨ يناير سنة ١٧٩٠ ان ترقية الزراعة والتجارة والصناعة بالوسائل الصالحة لذلك مما لا حاجة بي الى الحث عليه لاني واثق انكم توافقوني على انهُ لا شيء اجدر باهتمامكم من ترقية العلوم والفنون إما بمد يد المساعدة للمدارس العالية الموجودة الآن في البلاد او بانشاء مدرسة جامعة وطنية او بما يماثل ذلك مما يليق ان تبحثوا فيه . ثم عاد الى هذا الموضوع مرارًا وقال في رسالتهِ الثامنة التي بعث بها الى مجلس الامة " لا يرتاب احدٌ في ما للزراعة من الاهمية الكبرى من حيث مصلحة الافراد ومن حيث مصلحة الامة وتزيد هذه الحقيقة ظهورًا بارتقاء الامة وازدياد عددها فتصير الزراعة من اهم ما تبحث فيه وتنشئ لهُ ما يرقيه واي شيء اجدر من ذلك لتنفق عليه اموال الامة . ولا شيء مما ينشأ لترقية الزراعة اقرب الى النجاح من المجالس الزراعية التي تجمع المعارف وتنشرها وتعطي الجوائز المالية لتساعد وتقوي الميل الى الاكتشاف والاصلاح . وقد دلَّ الاختبار على انها من اقل الوسائل نفقةً بالنسبة الى كثرة فوائدها للامة . فاتَّبع مجلس الأمة مشورة رئيسها الاول وانشأ مجلسًا للزراعة

جمعية الزراعة ومعارضها

والظاهر ان وشنطون انتبه الى فائدة المجالس الزراعية من رواية الجمعيات الزراعية التي انشئت قبل ذلك في البلاد فقد أنشئت اول جمعية زراعية فيها في غزة المؤسَّس سنة ١٧٨٥ في مدينة فيلادلفيا وانتخب وشنطون وفرنكلين عضوين فيها . وكذلك انشئت جمعية زراعية مثلها في كرولينا الجنوبية واهتمت بانشاء مكان لتجارب الزراعة . ثم انشئت الجمعية نيويورك الزراعية سنة ١٧٩١ ونشرت كتاب اعمالها في السنة التالية . وانشئت جمعية مستشوستس الزراعية سنة ١٧٩٢ وابتدأت في نشر اعمالها سنة ١٨٠٢ و يزاد بالاجمال الكتاب الذي تنشر فيه خلاصة اعمال الجمعية والمقالات التي تتلى فيها ونحو ذلك . وكان وشنطون عارفًا بهذه الجمعيات وبالجمعيات الانكليزية التي أنشئت في ذلك الحين لترقية علم الزراعة وما يتعلق به

ثم ان الجمعيات الزراعية دعت الى اقامة المعارض الزراعية فانشئ اول معرض وجمع المال لاعطاء الجوائز للعارضين فيه . واول مال جمع لتعطى منهُ الجوائز كان خمسين ريالاً اي

كتبها وطبعها بعد تكرار المراجعة وإحكام المقابلة . ولتفصيل هذا الاجمال نأتي بفصلين نستطرد منهما الى خاتمة تناسب هذا البحث الجليل الفائدة

الفصل الاول

في أخصّ من خدم العربية من العجم

ان الذين استأثروا بالامامة في علم العربية وذهبوا بفضل السبق في التأليف هم العجم فقد أجمع المؤرخون من افاضل علماء المسلمين واكابرهم على أن هذا اللسان العربيّ قد استمرّ مع كرور الدهور على صحة اوضاعه وفصاحة تراكيبه وبلاغة اساليبه بريئًا من آفة اللُّحْنة والخطن سالمًا من الفساد من لدن جرت به الالسنة الى ما قبل ظهور الاسلام بمدّة ثم تزايد انتشار الفساد فيه وذلك أن العرب الخُلَّص كانوا الى ذلك اليوم بمنجاةٍ عن مخالطة المتعرّبين لانقراع آذان صبيانهم الاّ اللغة الفصحى فتنغرس الفصاحة بالسمع ملكةً في ألسنتهم . والسمع أبو الملكات اللسانية . فقد كان الصبيُّ في الحجاز يسمع اهل بلاده كلهم أجمع ينطقون بالفصيح فيقولون في هذه الالفاظ التي ينطق بها البيروتيون واهل بعض الجهات اللبنانية (إجَا وإجِتْ وكِيفْ ومِينْ وهَيْكْ) مثلاً (جاء وجاءت وكيف ومَنْ وهكذا) واما صور هذه الالفاظ من كسروان الى آخر شمالي لبنان فهي كما ترى (جَا وجَاتْ ومَانْ وهَيْكِدْ) فلا ريب ان كلاً من الصبيان يأخذ لغة ابيه وعصره وبلده كما يأخذ دين والده وعادات اهله ووطنه . ويصير السمع على تلك الكيفية حائلاً يمنع اللسان عن الخروج بتلك الكلمات عن الصيغ التي تلقّاها منذ حداثته فما باحدٍ من صبيان الحجاز وبيروت وكسروان مثلاً حاجةٌ الى علم يستعين به على اتباع لغة بلده بل ذلك ملكةٌ ربي عليها كما هو مشاهدٌ لكل احدٍ وليس واحد منهم يطاوعه لسانهُ ان ينطق بتلك الكلمات بغير الصورة التي تعوّدها الاّ عند إرادة المحاكاة والتقليد

ولما خرج العرب من الحجاز في طلب ما في أيدي الامم من الملك ودوّخوهم ونزعوا الملك من ايديهم وتوالت لهم الفتوح ومصّروا الامصار ومدّنوا المدائن وخالطت الأمة الغالبة الأمم المغلوبة استشرى الفساد في العربية وكانت المخالطة مدبَّةً اليها فصار الصبيان يسمعون الفصيح والمستهجن واخذت الملكة اللسانية تضعف فيهم وخُشي أن يُغلق دون أفهامهم باب القرآن والحديث فعندئذٍ استنبطت العلوم اللغوية وكان العجم هم المشتغلين بتدوينها وتقييدها وتهذيبها وتفريعها دون العرب . ولم تقف بهم تلك الهمة العالية عند علوم الادب بل سمت بهم الى ما هو اعلى وأبعد حتى نصبوا علَم اللسان العربيّ فوق كل علمٍ استنبطهُ بشرٌ وداروا سورهُ بكل فنٍّ اخترعهُ انسانٌ الى ذلك العهد بحيث أضحى الناطق بالضاد وما يحتاج في

الوصول الى علم من العلوم الى ان يتكلف تعلُّم لغة أعجمية

واذ علمت ان الفساد قد أصاب اللسان العربي قبل استنباط علومه التي أركانها اللغة والنحو والبيان والأدب صرت تشرّف الى معرفة القبائل التي اتخذت لغتها قاعدة يبنى عليها . فاعلم ان هذا الوباء اللغوي كان عند استنباط النحو وجمع اللغة وتفسيرها قد وقف دون قيس وتميم وأسد ولم يصل الى هُذَيل وبعض كنانة وبعض الطائيين فكانت عربيتهم حين ذلك على سلامتها فعنهم أكثر ما أُخذ ومعظمهُ . وعليهم اتكل في الغريب وفي الاعراب والتصريف . ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم ولم يؤخذ عن حَضَري قط ولم يُؤخذ من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسّان وإياد لمجاورتهم اهل الشام ولا من تغلب واليمن فانهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وازد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس ولا من اهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت السنتهم . والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب قصيرها عملًا وصناعةً هم أهل البصرة والكوفة فقط من بين امصار العرب (عن المزهر ببعض حذف)

قلت ومن لا يلتفت الى ان الأمية كانت يوم ذاك فاشية في العرب بل يقصر النظر على ما في اوضاع هذه اللغة من الشواهد الناطقة بما فُطروا عليه من الحذق والاولة المضرّحة بما رزقوه من ثقابة الذهن يتولاه العجب من اقبال العجم على جمعها واعراض العرب عنها لكن من يعطف نظره الى هذه الحيثية يظهر له السبب فيبطل عنده العجب

واما البحث في خصائصها التي اذا قُوبلت اللغات وعُورضت بمحاسن الواحدة بمحاسن الاخرى فلا أقلّ من ان تكون بينها في الطبقة الاولى فمن اشرف المباحث النظرية لكنهُ بحث لا يوفيه حقهُ من اقامة الدليل الا مصطلعٌ منها ومن لغات شتى شرقية وغربية او لجنة من العلماء الاذكياء كلٌّ منهم متبحر فيها وفي لغة من اللغات الاعجمية ولا يخفى ما وراء ذلك من سَبْر الطبائع وكشف الغرائز ولو كنت ممن يستطيعهُ خارجًا على مثل ما أشرت اليه لأقبلت عليه لفائدته تلك وان كان ليس من مذهبي في اللغة الا الاشتغال بما يسهل سبيل القلم ويوفر دواعي البلاغة

ذلك ولنرجع الى سرد اسماء أخصّ اولئك العجم ذوي الهمم القعساء والبصائر المتألقة

العياء الذين لولاهم لهُدِمت اركان العربية وضاعت اوضاعها وفسدت احكامها وتشوَّه جمالها وترامى الى النقص كمالها متنصرين على ذكر اعيان اهل النحو واللغة والبيان واما اهل الفقه والتفسير والعلوم العقلية فنعرض عن ذكرهم خوف التطويل

المؤلفون في النحو

أخص المؤلفين في النحو بين الاوائل والاواخر واعلاهم كعبًا في هذه الصناعة في الغابر والحاضر ومُصنَّفُهُ بحر هذا العلم الزاخر رجلٌ فارسيٌّ يقال لهُ سيبويه نشأ في البصرة وأقام ببغداد وعاش اربعين سنة . وُلد سنة ١٢١ هجرية وقُبض بقرية من قرى شيراز سنة ١٦١ هجرية

وأبو علي الفارسي ألف كتبًا مختصرة للمتعلمين اقتصَّ فيها اثر سيبويه امام النحاة ومن كتبهِ في النحو (الايضاح والتكملة) ألفهُ لعضد الدولة وهو من معاصري المتنبي وجرت بينهما مجالس ايام اقامتهِ عند سيف الدولة بحلب

وابو اسحق الزجَّاج صنَّف في النحو عدَّة مختصرات نهج فيها منهج الامام . وكانت ولادتهُ سنة ٢٣٠ هجرية ووفاتهُ سنة ٣١١ هجرية

والسيرافيُّ وهو مولود في سيراف سنة ٢٨٤ هـ لهُ شرح جيد على كتاب سيبويه

والزمخشريُّ مؤلف المفصل والأنموذج في النحو وُلد بزمخشر قرية بخوارزم سنة ٤٦٧ هـ وقُبض بجرجانية خوارزم سنة ٥٣٨ هـ فرثاهُ بعضهم بابيات منها

فأرضُ مكةَ تذري الدمعَ مُقلتُها حزنًا لفرقة جار الله محمودِ

وابن الحاجب وهو ابو عمرو عثمان كرديٌّ كان ابوهُ حاجب الامير عزّ الدين الصلاحي توفي في الاسكندرية سنة ٦٤٦ هـ ألف في النحو الكافية وصنَّف في الصرف الشافية وشرحهما والرضي الاستراباديّ المتوفى سنة ٦٨٦ هـ شرح الكافية شرحًا مطولاً

اخصُّ المؤلفين في اللغة

الخليل بن احمد الفراهيدي البصريّ الازديّ هذا اول من جمع اللغة في كتاب سماهُ كتاب العين ولد سنة ١٠٠ هـ وتوفي سنة ١٧٤ هـ وهو فيما ارى عجميٌّ في مولدهِ عربيٌّ في نسبهِ وحملة العلم في الاسلام اكثرهم العجم الاَّ في القليل النادر وان كان منهم العربيّ في نسبتهِ فهو عجميٌّ في لغتهِ ومولدهِ ومنشئهِ كما جاء في مقدمة ابن خلدون . وكتاب العين فُقِد قبل ان تبلَّ بهِ ايدي الافرنج فتحفظهُ من آفات الدهر

والازهريّ المتوفى سنة ٣٧٠ هـ بمدينة هراة هو صاحب التهذيب الذي ادخلهُ ابن

منظور فيما ادخل من المعجمات التي جمعها قوام تأليفهِ الكبير المسمى لسان العرب

والصاحب بن عباد وهو مؤلف المحيط في اللغة وُلد في اصطخر سنة ٣٢٤ هـ وتوفي في الري سنة ٣٨٥ هـ ومن صفات محيطهِ انهُ غزير المواد قليل الشواهد

والجوهري وهو ابو النصر اسماعيل بن حماد من مدينة فاراب من عشيرة تركية ساح رغبة في العربية وهيامًا بمحاسن اوضاعها بين البدوفي جزيرة العرب وشافههم ووقف على لغتهم ثم عاد الى وطنهِ ووضع كتاب الصحاح وقال خذوا لغتكم من رجلٍ اعجميٍّ وكانت وفاتهُ سنة ٣٩٣ هـ وقد قيل في صحاحهِ

من قال قد بطلت صحاحُ الجوهري لمَّا اتى القاموس فهو المبطلُ
قلتُ اسمهُ القاموس وهو البحر إن يفخر فمعظمُ فخرهِ بالجوهري

وابن فارس بن زكريا الرازي صاحب المجمل في اللغة وُلد سنة ٣٢٩ هـ وتوفي سنة ٣٩٠ هـ وكان مقيمًا بهمذان . وعليهِ اشتغل بديع الزمان

والثعالبيُّ النيسابوري وُلد في نيسابور سنة ٣٥٠ هـ وتوفي سنة ٤٢٩ هـ وله كتاب فقه اللغة وهو متداول لوقتنا بين طلبة العلم والخاصة من اهل البلاد

والزمخشري وهو من أمهر كتَّاب العربية ولهُ الطبقة العالية بين أئمتها في التحقيق وجودة التأليف وانانة الترصيف وضع في متن اللغة الاساس وهو انفع المعجمات للمشيء بحيث اكثر فيهِ من الامثلة المبينة لوجوه الاستعمال وقد مرَّ ذكرهُ بين مؤلفي النحو

والفيروزابادي وهو اشهر من ان يعرَّف ولد سنة ٧٣٠ هـ في قارشين وتوفي سنة ٨٢٠ هـ في فيروزآباد قرب شيراز لهُ في اللغة القاموس المحيط والقابوس الوسيط فالفيروزابادي في بلاد الشام مرادف لاسم القاموس عند علماء العربية وقد شاع على الالسنة في بلادنا اسم هذا الكتاب حتى صار اسمًا لكل معجم من معجمات اللغة يقال هذا قاموس فلان وهذا قاموس فلان وقواميس اللغة كثيرة وممَّا امتاز بهِ هذا الكتاب الضبط بالنص والمثال وهو في تقويم النطق امرٌ جليل ذو بال

المؤلفون في البيان

ابو يعقوب يوسف السكاكي المتوفى بخوارزم سنة ٦٢٦ هـ هو الذي نخض زبدة البيان وهذَّب مسائلهُ ورتب ابوابهُ وألَّف كتابهُ المفتوح في النحو والتصريف والبيان فجعل هذا الفن من بعض أجزائهِ

وجلال الدين محمود القزويني المتوفى سنة ٧٣٩ اختصر جزء البيان من كتاب المفتاح وسمى مختصرهُ تلخيص المفتاح

والتفتازاني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ لهُ شرح التلخيص

والسيد الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦ هـ لهُ حواشي على شرح التفتازاني

هذا وتنادياً من الاطالة نأتي ما قالهُ المؤرخ الفيلسوف والكاتب الموصوف العلاَّمة ابن خلدون الحضرمي في مقدمتهِ المشهورة فقد أجمل هذا البحث واتى على اطرافهِ مع البيان الكافي والتعليل الوافي قال " فصارت العلوم حضريةً وبعد عنها العرب وعن سوقها والحضر لذلك العهد هم العجم اومن في معناهم من الموالي واهل الحواضر الذين هم يومئذٍ تبعٌ للعجم في الحضارة واحوالها من الصنائع والحرف لانهم اقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس " الى ان يقول " وكذا حملة الحديث الذين حفظوهُ عن اهل الاسلام اكثرهم عجم او مستعجمون باللغة والمربى . وكان علماء اصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف وكذا حملة علم الكلام وكذا اكثر المفسرين ولم يقم بحفظ العلم وتدوينهِ الاَّ الاعاجم وظهر مصداق قولهِ صلى الله عليهِ وسلم لو تعلق العلم بأكناف السماء لنالهُ قوم من فارس . واما العرب الذين ادركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا اليها عن البداوة فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية وما دفعوا اليهِ من القيام بالملك عن القيام بالعلم والنظر فيهِ فانهم كانوا اهل الدولة وحاميتها واولي سياستها مع ما يلحقهم من الانفة عن انتحال العلم حينئذٍ بما صار من جملة الصنائع والرؤساء ابداً يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرُّ اليها ودفعوا ذلك الى من قام بهِ من العجم والمولدين " الى ان يقول " واما العلوم العقلية ايضاً فلم تظهر في الملة الاَّ بعد ان تميز حملة العلم ومؤلفوهُ واستقرَّ العلم كلهُ صناعةً فاختصت بالعجم وتركتها العرب وانصرفوا عن انتحالها فلم يحملها الاَّ المعربون من العجم شأن الصنائع كما قلناهُ اولاً فلم يزل ذلك في الامصار ما دامت الحضارة في العجم . وبلادهم من العراق وخراسان وما وراء النهر . ولما خربت تلك الامصار وذهبت منها الحضارة التي هي سرُّ الله في حصول العلم والصنائع ذهب العلم من العجم جملةً لما شملهم من البداوة واختصَّ العلم بالامصار الموفورة الحضارة ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أمُّ العالم وايوان الاسلام وينبوع العلم والصنائع . وفي بعض الحضارة فيما وراء النهر لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها . فلهم بذلك حصةٌ من العلوم والصنائع لا تُنكر وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تآليف وصلت الينا الى هذه البلاد وهو سعد الدين التفتازاني . واما غيرهُ من العجم فلم نرَ لهم من بعد الإمام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعوَّل على نهايتهِ في الإصابة "

قلت ليت شعري ما كان يقول هذا المؤرخ الفيلسوف في مصر لو قدمها في مثل هذا العهد وفيها المطابع التي اخصُّها مطبعة بولاق الشهيرة مطلع انوار العلوم اللسانيَّة والشرعيَّة والتاريخيَّة والرياضية والطبية وقد بلغ ما طُبع فيها من نفائس المصنَّفات العربية مائةً وستين مصنفاً وبلغ ما طبع في سائر مطابع القاهرة من تلك الكتب القديمة مائتين وواحداً وعشرين كتاباً على ان بعض ما طُبع في بولاق قد تكرَّر طبعهُ في بعض مطابع القاهرة وذلك من لدن أُنشئت تلك المطابع الى سنة ١٨٩٧ م

بل ليت شعري الى اين حدَّ كان يبلغ في تقريظها لو وطىء أرضها اليوم ورأى ما حدث فيها من المدارس ولا سيما المدرسة الطبية المعروفة بمدرسة القصر العيني التي تُعلَّم الطبَّ والحساب والجبر والهندسة والمساحة وعلم النبات والصيدليَّة وعلم الفلك وملأ اناملها الارض كتباً في تلك العلوم الجزيلة الفوائد الملازمة لاتساع العمران وانبساط الحضارة ثم رأى ما يُنشر فيها من الجرائد الموزَّعة للجوائب في الارجاء والمجلَّات العلمية المرسلة من مواد سطورها الضياء وماذا كان يقول في بعض الجرائد والمجلَّات التي بلغت من تحرّي الصحَّة والحرص على صحة الآداب وتوفير الفوائد وتخيُّر المباحث ما جعل اقوالها كالاحكام المُبرمة متانةً والانهار المتدفقة فائدةً

الفصل الثاني

في خدمة الافرنج للعربية

قد تقدَّم لنا كلام مجمل في هذا الشأن وقبل ان نأتي بتفصيله يقتضي علينا بلوغ البيان ان نذكر داعية هذه الخدمة فنقول

ما صرفت الحضارة اطنابها في أمة الاَّ سمت هممها بعلمائها الى الوقوف على ما عند سائر الأمم من العلوم والصنائع واشتدَّت رغبتهم في كشف الغطاء عن تواريخهم واستطلاع احوالهم في مبادئهم ومصايرهم ولقلَّب الدهر عليهم عابساً وضاحكاً ولو كانت الجالبة لمجدهم قد انقضت بل ولو كانوا هم قد انقرضوا وبادوا واصبحوا وليس لهم من الوجود الاَّ قدر ما أبقت لهم أقلام المؤرخين من الذكر اذ لا يخفى على عاقل راغبٌ ذلك الاطلاع من الفوائد التي ترخص في جنبها قلائد الدرّ والياقوت . وما ينفع للراغبين غليلاً ولا يبرّد لهم شوقاً لمعرفة لغات تلك الأمم وقراءة كتبهم وهذا هو الذي بعث الافرنج للاقبال على العربية والتجوّل في الآفاق لجمع كتبها وطبعها وبذل الكلف الطائلة في اظهار تلك الكنوز المدفونة وهنذا اذكر لك بعض ما طبعوا من كتب النحو واللغة ودواوين الشعر وكتب الدين والفقه والطبّ والجبر

والهندسة والجغرافية لتعلم ان تلك التآليف التي قضت الايام على الشرقيين ان يحرموا الانتفاع بها مع انها من ثمرات رياضهم وغلاّت ضياعهم وقد حُفظت في لغتهم حفظ الدرّ في صدفهِ قد بعث الله لها من يقيها الهلاك وينشرها في الآفاق فلرانها وايلك من ذوات الحسّ والنطق لذاقت لذّة اطلاق السبيل بعد الحبس الطويل بل لذاقت حلاوة النجاة بعد مشارفة البوار

مطبوعات نحوية

من مطبوعات النحو كتاب سيبويهِ طبعهُ في باريز سنة ١٨٨٩ م الفاضل دراتبورغ وبذل ما في طوقهِ في معارضة هذه النسخة بخمس نسخ مخطوطة واحدة في فيانّا وواحدة في بطرسبورج وواحدة في باريز وواحدة في اكسفورد وواحدة في الاسكوريال باسبانيا فجاءت الطبعة على ما يرام من الاتقان والضبط ونظافة الطبع حتى كانما راعى في ذلك كلهِ قدر الكتاب والمدينة التي طبع فيها ومقام طابعهِ. وقد طبعت الكتاب ايضاً جريدة الجمعية الشرقية الالمانية

والمفصل للزمخشريّ في صناعة الاعراب طبعهُ في كريستيانا سنة ١٨٥٩ وسنة ١٨٨٩م الفاضل بروخ والانموذج في النحو للزمخشري طُبع في كريستيانا سنة ١٨٥٩ م

وشرح ابن يعيش الحلبيّ المعروف بابن الصائغ على مفصل الزمخشريّ طبعهُ في ليبسك سنة ١٨٨٦ م الفاضل ياهل ولم يألُ جهداً في تطبيقهِ على الاصل . وتوفيّ ابن يعيش هذا سنة ٦٤٣ ﻫ والفية ابن مالك المتوفّى في دمشق سنة ٦٧٢ ﻫ المولود في جيّان الحرير من اعمال الأندلس سنة ٦٠٠ ﻫ طبعها في باريز الفاضل سلفستر دي ساسي سنة ١٨٣٣ م الى كتب أخرى كثيرة نضرب عن ذكرها اختصاراً

مطبوعات لغوية

من مطبوعات كتب اللغة مثلّثات قطرب المتوفى سنة ٢٠٩ ﻫ طبعها في ماربورغ الفاضل فلار وكتاب الفروق الاصمعيّ المتوفى سنة ٢١٦ ﻫ طبع في قاعدة مملكة النمسا فيانّا سنة ١٨٧٦ م وضمّ اليهِ فهرس على ترتيب حروف المعجم

وكتاب الأضداد لأبي بكر محمد بن الأنباري المتوفى ببغداد سنة ٣٢٨ ﻫ طُبع في ليدن سنة ١٨٨١ م

مطبوعات من دواوين الشعر العربي

من الكتب الشعرية المطبوعة في بلاد الافرنج شرح الحماسة مع فهرست على ترتيب حروف الهجاء للاعلام وسائر الألفاظ طبعهُ الفاضل فريتغ صاحب المعجم العربي اللاتيني المشهور في مدينة بون مرتين سنة ١٨٤٧ و ١٨٥١ م

والمعلقات السبع . طبعها في ليبك الفاضل ارنولد سنة ١٨٥٠ م وافرغ كنانة الجهد في تطبيقها على الاصل ثم طبعها الفاضل آبل في برلين سنة ١٨٩١ م

وديوان لبيد . طبع في مدينة فيانا سنة ١٨٨٠ م . وطبعت معلقته مع شرح الزوزني في مدينة برسلاو سنة ١٨٢٨ م

وديوان عنترة . طبعهُ الفاضل آهلوارت في لندن سنة ١٨٧٠ م

ومعلقته . طبعت في ليدن مع شرح الزوزني لها سنة ١٨١٦ م

وديوان طرفة ابن العبد . طبع سنة ١٨٦٩ في مدينة غريفا سوالد

ومعلقته . طبعت سنة ١٨٢٩ م في مدينة بون مع شرح عليها للزوزني

وديوان زُهَير . طبع في ليدن سنة ١٨٨٩ . ومعلقتهُ وهذه طبعت سنة ١٧٩٣ في ليبسك مذيلة بشروح وضم اليها ترجمتها باللاتينية

وديوان امرىء القيس طبع سنة ١٨٣٧ م في مدينة باريس مشروحاً وملحقة به ترجمتهُ بالفرنسوية

وديوان النابغة الذبياني طبعهُ في باريز سنة ١٨٦٩ م الفاضل درانبورغ ومعلقة عمرو بن كلثوم طبعها في مدينة يانا سنة ١٨١٩ م الفاضل كوزغارتن

ومنها ديوان الشعراء الهذليين وقد طبعهُ سنة ١٨٥٤ الفاضل كورغارتن في مدينة لندن

وديوان عروة بن الورد وقد طبعهُ سنة ١٨٦٣ الفاضل نولدكي في مدينة غوتنغن

الى دواوين وقصائد مشهورة وفي الطايب الشعر معدودة نعرض عن ذكرها اختصاراً

مطبوعات دينية وفقهية

من هذه المطبوعات القرآن فقد طبع طبعات كثيرة اولها في هامبورغ سنة ١٦٤٩ م وطُبع في ليبسك ثلاث مرات ما بين سنة ١٨٣٤ وسنة ١٨٧٠ م وقد ضُم الى آخر فهرست مرتب على حروف المعجم يُقال لهُ نجوم الفرقان

والكشّاف عن حقائق التنزيل للزمخشري طبعهُ الفاضل لي الانكليزي في كلكته سنة ١٢٨١ هـ قبل ان يُطبع في بولاق بخمس سنين

وانوار التنزيل واسرار التأويل للبيضاوي طبعهُ الفاضل فليشر الالماني في ليبسك سنة ١٨٤٨ م وقد خدم هذا التفسير بفهارس مستوفية تجعل فوائدهُ للطالع على طرف التمام الفاضل فل الالماني وطبعها في ليبسك

والمختصر في الفقه لأبي الضياء خليل بن اسحق المالكي المتوفى سنة ٧٦٧ هـ . طبع في باريز اربع طبعات افضلهنَّ الاخيرة

وكتاب المنقذ في التوحيد للغزالي طبعهُ في باريز الفاضل شمبر لدرس سنة ١٨٤٢ م

والأحكام السلطانية والولايات الدينية . طبع في بون سنة ١٨٥٣ م

مطبوعات من كتب الطب والجبر والهندسة والجغرافية والفلاحة

من تلك المطبوعات القانون لابن سينا طُبع مع كتاب النجاة لهُ في رومة سنة ١٥٩٣ وتذكرة الكحالين وهو مختصرٌ في علاج امراض العين . طُبع سنة ١٨٤٥ في مدينة درسدن على يد الفاضل هلّ . وطبعت معهُ ترجمتهُ باللاتينية

وكتاب الفلاحة لابن العوّام الاندلسيّ الاشبيلي من اهل المائة السادسة للهجرة طبعهُ في مادريد سنة ١٨٠٢ م الفاضل بنكوبري

وكتاب في الجبر لأبي عبد الله محمد بن موسى بن شاكر طبعهُ في لندن سنة ١٨٣١ الفاضل روزن . وكتابٌ آخر في الجبر لعمر بن ابرهيم الخيّالي النيسابوري طبعهُ في باريز سنة ١٨٥١ م الفاضل وونكه

وتحرير اصول اقليدس . وهو تعريب هندسة اقليدس لنصير الدين الطوسيّ المتوفى ببغداد سنة ٦٧٢ هـ طُبع في رومة سنة ١٥٩٤ م وطبع في لندن سنة ١٦٥٧ م

والمسالك والممالك لابن خرداذبه المتوفّى سنة ٣٠٠ هـ طُبع في ليدن سنة ١٨٨٩ في المجموعة المسماة الجغرافيّة العربية

ومعجم البلدان لياقوت الرومي الجنس الحموي المولد البغدادي الدار المتوفى سنة ٦٢٧ م على مقربة من حلب اعظم كتاب في الجغرافية عند العرب طبعهُ الفاضل ووستنفلد الألماني سنة ١٨٧٣ في ليبسك

والمشترك وضعاً والمفترق صقعاً لياقوت ايضاً طبعهُ الفاضل ووستنفلد المشار اليه في مدينة غوتنغن

والمسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل الرحّالة الشهير طُبعت منهُ عدّة أجزاء في ليدن وبون سنة ١٨٧١ م

وأحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي طُبع في ليدن في جملة المجموعة المسماة المكتبة الجغرافية

وعجائب المخلوقات للبيروني الخوارزمي الحكيم المشهور المتوفّى سنة ١٣٠٨ م طبعهُ الفاضل ساخاو الألماني في لندن سنة ١٨٨٨ م

وكتاب الجبال والأمكنة والمياه للزمخشري طُبع في ليدن سنة ١٨٥٦ م

وكتاب الشريف الادريسي في وصف افريقية واسبانيا طبعهُ الفاضل دوزي ودي جويه في ليدن مع ترجمة فرنسوية وشروح سنة ١٨٦٦ . الى غير ذلك من الكتب النفيسة مما لا يسمح الغرض من هذه المقالة باثبات اسمائها فنجتزئ عنهُ بذكر اسماء المدن الاعجمية وعدد ما طبع فيها من الاسفار العربية العتيقة الى تاريخ سنة ١٨٩٧ بقدر ما وصل اليهِ استقصاؤنا كما ترى في هذا الجدول

اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع	اسم المدينة	عدد المطبوع
أبسالا	٣	جوجنهيا	١	كنفور	١٠
استراسبورج	٢	جوثا	٣	كوبنهاغن	٥
ادنبرغ	١	الجزائر	٤	لكناهور	١٧
أكسفرد	١٣	درسدن	٣	ليسبون	١
امستردام	١	دلهي	١١	لبسك	٥
أوترخت	١	رومة	٧	ليدن	٧٥
باسل	٣	طهران	٦	لاهور	٢
باريز	٤٨	غرايفوالد	٤	لودبانج	١
برلين	١١	غوتنغن	٦	لندن	١٤
بادوا	١	فرانكفورت	١	مادريد	٤
برسلاو	٤	فرايبورغ	١	موينخ	٣
بطرسبورج	٦	فلورنسا	٢	ميلان	١
بياي	١٨	فيانا	١٢	ماربورغ	١
بافيا	١	قازان	٣٢	مرسيليا	١
بهوپال	٢	قسطنطينية	٨٩	نورمبورج	١
بون	١٦	كامبردج	١	ملي	٤
البندقية	٩	كريستيانا	١	هايدلبرغ	١
بيزا	١	كونفز بورج	١	دايمار	١
تبريز	٣	كلكتا كشمير	١	يانا	٩
تونس	٥	كلكته	٥٨	ومجموع ذلك ٥٧٨ كتابًا	

فلت من يرى تلك الكتب العربية مطبوعة في رومة وباريز وليدن ولندن وليبسك وبرلين وجوتا وكوبنهاغن وغوتنغن وغيرها مما اثبتناهُ في هذا الجدول فيكون مثلهُ مثل من يرى السمك يعيش في القفر . او الطير تطير تحت لجج البحر او مثل من ينظر الضرير يهدي البصير اذ يُخيَّل اليهِ ان البصرة والكوفة قد ظهرتا في هذا العصر باسم هولاندا والمانيا وان ابن عقيل وابن مالك وابن هشام قد عادوا الى الدنيا باسم سلفستر دي ساسي الفرنسوي وفليشر وفريتغ فيكاد يُدخل عليهِ ولا يزال في بيداء تحيرهِ حتى يتراءى لهُ من التاريخ بنادر يقول لهُ أفق وانتبه يرتفع عن بصيرتك برقع الجهل واعلم أن الأمم التي نفقت اسواق العلم عندها واستجمر العمران فيها تتلمَّسُ حياةً ونوراً فتُجلُّ آثار العلم وتتطلَّبها في كل لغةٍ وتتشدها عند كل أُمةٍ . والاَّ فاين ما عانتهُ اوربا وانفقتهُ في سبيل العربية مما قاستهُ وتكلفتهُ في حلّ الكتابات المسمارية والخطوط الهيروغليفية واعادتها الى الحياة بعد موتها

الخاتمة

قد عرفتَ مما ذكرت لك ان العربية قد ضربت خيامها في الممالك الاوربية ونُصبت لاساتذتها المنابر في المدارس الكلية وسُبك لها حروف في المطابع العظيمة المبهية ونسخ أسفارها الافرنج على نشر ما كان مخبوءاً في الخزائن من النفائس التي جعلها حوَل الدهر كالرهائن فلو انتصب العدل يوزّع الجوائز على من خدموا العربية لأصاب العجم جائزة الايجاد والافرنج جائزة الحراسة والحفظ

هذا ولا يذهب على عاقلٍ مما ضعفت بصيرتهُ ان شجرة اللغة لا تستوفي حظها من الاخضرار والايراق وبسوق الافنان وتفتح الازهار واستواء الاثمار ولا يجتمع لها رونق الحياة والنضارة مالم تكن لغة المخاطبة والمكاتبة في الشؤون الانسانية ولغة العلوم البشرية فاطبةً تلقيناً وتدويناً . والاَّ فان الاقتصار على تعلم اصول النحو والبيان وطبع الكتب القديمة كما هو دأب علماء المشرقيات من الافرنج لهذا الوقت جزاهم الله خيراً واقتصار المدارس في الديار السورية وغيرها من البلاد العربية اللغة على تعليم النحو والبيان والعروض ومطالعة بعض كتب الأدب من نظم ونثر مع كثرة نفعهِ لأقلُّ من ان يكون الغذاء الذي تنمو عليهِ وتبسق أغصانها بهِ وتكثر ثمارها . فلو تمثَّلت اللغة فتاةً ما صبرت عن أن تطلب طعاماً يشبعها من جوعٍ . ويحفظها من شحوب ولا أغفلت المطالبة بأن تكون لغة العلوم الرياضية والطبية والفلسفية كما هي الفرنسوية عند الفرنسويين والانكليزية عند الانكليز ولعابت الكلية الانجيلية البيروتية على الاعراض بعد الاقبال والهجر بعد الوصال فقد كانت لغة الطب فيها الى سنة ١٨٨٤ وقالت لذويها

ما عبدت المرسلين الا ذوي برّي وحناوة ألا وهم الذين انشأوا خدمتي سنة ١٨٣٤م مطبعة موفورة الآلات متينة الأدوات ناصعة المطبوعات واستعملوني في العلوم الرياضية في مدارسهم كافة وأذاعوا كتباً في تلك العلوم لابسة حلتي الجميلة البهية نعلى مَ قاطعوني وقد عاودتني صحة من نضارتي ولقالت ليتني اكون عند هذه الكلية العامرة كالنقاوي عند القائل

لم يرقّ لي منزل بعدَ النقا لا ولا مستحسَنٌ من بعد مي

وما احسبها كانت تعني الطبية الفرنسوية البيروتية من معاتبة تسلّط على قلبها ما يأخذ المعاتب وقد غايتهُ الحجة . واما الكليتان فتتلقيان ذلك العتاب باعتذار لا إخالهُ يضعف الحكم عليها بجفائها او يصرفها عن أن تشدها

تمرُّونَ الديارَ ولم تعوجوا كلامكمُ عليَّ اذنٌ حرامُ

فاذا لاحظتَ ذلك كلهُ علمت ان ابجع ما تغتذي بهِ العربية اليوم انما هو المجلاّت الجوّالة والصحف السيّارة وذلك انها تستعمل اللغة في كل مطلب وبحث وقد شعر كلٌّ من المصريين والسوريين والعراقيين وغيرهم ان الجرائد العربية قد بثّت اللغة الفصيحة في كل طرف من الأطراف وعلّمت العامة كثيراً من فوائد العربية مما لم يكن يعرفهُ الا الخاصة وفتحت باب الكتابة انشاء وترجمة وردّت الى اللسان العربي من قديم رونقهِ فكلٌّ منها حريٌّ بأن ينال من الثناء ما هو كفاء خدمتهِ وجزاء فائدتهِ

فيا ايها الناطقون بالضاد كرّموا الجرائد والمجلاّت وعظّموها بالاقبال عليها فهي اعظم الاركان في حياة لسانكم وحياة الانشاء بينكم فلم يبقَ لاعتزاز العربية ونضارتها سندٌ اقوى منها فهي بغزارة موادّها ووفارة أبحاثها وتعدّد مطالبها وتشعب ابوابها تعزز العلم واللغة معاً بما تبثُّ من الأنوار العلمية وتذيع من الكلمات العربية مما لا سبيل الى الوصول اليهِ بدونها

اوهام الخواص

تمهيد

قد يظن قارئُ هذا العنوان اننا نقصد مجاراة الحريري في البحث عن اوهام الخاصة من حيث اللغة والانشاء . وهذا ليس من غرضنا في شيء وانما غرضنا البحث عن بعض الاوهام التي وجدناها متسلطة على عقول بعض الخاصة في عاصمة العلم والعمران في مدينة باريس التي نشأ منها مثل ده كارت وبسكال وكونت وڤولتر ولافوازيه وباستور. نعم ان الذين لقيناهم